الفصل الثاني

التفاعل بين الوالدين والطفل

- مقدمة.
- أساليب تربية الطفل.
- سيطرة الوالدين وسلوك الأطفال.
- إساءة معاملة الأبناء.
- أسباب إساءة معاملة الأبناء.
- أثر إساءة المعاملة على سلوك الأطفال .
- نمو التعلق بالوالدين.
- التنشئة الاجتماعية والتعلق الاجتماعى.

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة :

لاشك فى أن أهم مؤثر فى التنشئة الاجتماعية للطفل هو الأسرة ، وخاصة الوالدان ، فالطفل فى مرحلة طفولته الأولى وقبل دخوله المدرسة يقضى معظم وقته مع والديه ، كما أنه يقضى فى المنزل وقتاً أكثر مما يقضيه مع أقرانه ، ولذلك فإن الاتجاهات والخلفية المنزلية العامة التى يهيئها الوالدان (من الأشياء المستحبة والأشياء غير المستحبة) - لها تأثير بالغ على نمو الطفل وتوافقه خلال تلك السنوات المبكرة ، وحتى فى سنوات الطفولة المتأخرة وفى فترة المراهقة فإن المتطلبات الوالدية العامة وإجراءات تربية الطفل السابقة تضفى قدر أكبر من السيطرة على السلوك النامى للفرد .

أن التأثير القوى والممتد أى طول المدى للوالدين على نمو الطفل اجتماعيا وعلى شخصيته يمثل حجر الزاوية الذى لون وشكل العقل الواعى فى نظرية « فرويد١٩٣٥» عن نمو الشخصية ، وأهم ما فى تلك النظرية هو فكرة أن الطفل فى نموه المبكر يتوحد مع identify with والديه من نفس الجنس لكى ينمو نمواً طبيعياً ومن خلال هذا التوحد يتعلم الطفل بعض أنماط السلوك الاجتماعى المقبول ويبدأ فى اكتساب دور الجنس .

كما أن الوالدين يستخدمان المكافآت والعقاب عند تعليم أطفالهما كيف يسلكون ، ومن ثم فإن شخصية الوالدين وسلوكهما مهمان لأنهما يؤثران على الطريقة التى ينشأ بها الطفل اجتماعياً من خلال تقويمهما النموذج وغيره من وسائل التربية .

ومع أن نظرية التعلم الاجتماعى لبندورا Bandwra (١٩٦٩) قد ركزت على وسائل تربية الطفل لتفسير نمو الشخصية ، فقد أكد أيضاً كل من : ميشيل Mischel (١٩٧٠) ، سيرزوماكوبى وليفين Sears, Maccoby & Levin (١٩٥٧) ، وسيرز ورو وألبرت Sears, Rau & Albert (١٩٦٥) عن دور الوالدين كنماذج وكمعززين للسلوك الاجتماعى ، ولذلك فإن مداخل التنشئة

الاجتماعية التى تستند إلى نظرية التعلم تؤكد على وجود تفاعل متبادل بين الوالدين والطفل، فلا يقتصر الأمر على أن الوالدين ، ينشئان الطفل اجتماعياً بل أن الطفل أيضاً ينشئهما اجتماعياً (Rheingold , 1969, Martin, 1975 Bell, 1968) . وكنتيجة لهذا التأكيد على التفاعل المتبادل بين الوالدين والطفل بدأ علماء النفس يتراجعون تدريجياً عن فكرة نموذج السببية للوالد Parent Causation madel والتى بمقتضاها يتسبب الوالدان فى أن يسلك الطفل سلوكيات معينة وبطريقة معينة ، مثال ذلك : فإن الطفل الذى يسلك سلوكاً عدوانياً يقلد نفس سلوك الوالدان اللذين سلكا مثل هذا السلوك نحوه ، وبذلك فهما يقدمان النموذج العدوانى للطفل ومن هنا يتضح أن النموذج المتفاعل السببى Interactive causation model يؤكد على التفاعل بين الوالدين والطفل . التالى لهذا المدخل:

وسوف نتناول فيما يلى بعض المظاهر المرتبطة بالتفاعل بين الوالدين والطفل فى تأثيرهما على شخصية الأبناء ومشكلاتهم النفسية - منها:

١- أساليب تربية الطفل.

٢- اساءة معاملة الأبناء.

٣- نمو التعلق بالوالدين.

١- أساليب تربية الطفل

إن الأبحاث السابقة فى تربية الطفل وأهميتها بالنسبة لنمو الشخصية اعتمدت فى معظمها على فرويد Freud (١٩٣٥) ، والذى أكد على أهمية إحكام سيطرة الوالدين فى نمو السمات الثابتة للشخصية ، ومن ثم فإننا نتساءل عن الكيفية التى ترتبط بها سيطرة الوالدين لتوحد الطفل مع والديه .

أبعاد تربية الطفل:

لقد استهدفت الأبحاث حول العلاقات بين الوالدين والطفل الكشف عن الأبعاد النفسية لوسائل تربية الطفل ، وبتصنيف الأباء تبعاً لهذه الأبعاد ، ثم دراسة سلوك أطفالهم جعل من الممكن ربط وسائل تربية الطفل بسلوكه ، وهناك طريقة

أخرى تقوم بدراسة الوسائل التى يتبعها الوالدان فى تربية أطفالهما الذين يشتركون فى سمات مشتركة مثل الانحراف أو العدوانية أو الاضطراب الانفعالى (Marten, ١٩٥٣) ، والغرض من هذه الدراسات هو تحديد أى أنماط تربية الأطفال يمكن أن تنبئ بمشكلات الطفولة ، وقد حلل سيفر Scheffer (١٩٥٣) التفاعل بين الأمهات وأطفالهن من سن شهر واحد إلى سن ثلاث سنوات وحدد للسلوك الأمومى بعدان هما: الحب فى مقابل العداء ، والسيطرة فى مقابل الاستقلال الذاتى ، وذلك باستخدام التحليل العاملى الذى يعتبر بمثابة وسيلة إحصائية لتحديد عدد الأبعاد اللازمة لوصف الارتباطات بين عدد من المتغيرات ، ويرى بيكر Becter (١٩٦٤) ، كرج Krug (١٩٦٤) أن وصف السلوك الأمومى يتضمن ثلاثة أبعاد هى: (السيطرة فى مقابل الاستقلال الذاتى ، والحب فى مقابل العدوانية ، والقلق الانفعالى فى مقابل الانفعال الهادئ Calm detachment).

والنقاط النهائية لهذه الأبعاد محددة بأفعال أبوية مختلفة ، فالدفء مثلاً: يعرف بأنه يتضمن القبول والموافقة والاستجابة الإيجابية للاعتمادية ، واستخدام المدح بسخاء ، وقلة استخدام العقاب البدنى ، وما إلى ذلك.

والجزء الخاص بالعدوانية فى هذا البعد يعرف بالسلوكيات المضادة.

شكل (١) نموذج شيفر الافتراضى للوالد الوالد

(٤٧)

أما بعد السيطرة والاستقلال الذاتى يتعرف عليه من خلال السلوكيات المرتبطة بفرض متطلبات للتواضع وآداب المائدة ، والطاعة ، والسلوك العدوانى ، وما شابه ذلك : والارتباط الانفعالى القلق anxious emotional involvement يشير إلى الحماية الزائدة وما شابه ذلك من سلوكيات .

إن سلوك الوالدين يمكن تقديره فى هذه الأبعاد ، ويمكن اكتشاف الفروق فى طرق تربية الأطفال بين الآباء الذين يبدون أنماطاً سلوكية مختلفة ، مثال ذلك : أن بيكر Becker (١٩٦٤) قد وصف كلا من الآباء الديمقراطيين والآباء المتسلطين بأنهم يحصلون على تقديرا أعلى فى أبعاد الدفء والسماحية ، مع فارق أن الوالدين المتسلطين يحصلون على تقديرات أعلى فى الارتباطات الانفعالية ، فى حين أن الوالدين الديمقراطيين يسجلان درجة أقل فى هذا البعد ، أى أن الوالد الديمقراطى يبتعد (أو ينفعل) فى هدوء .

السيطرة الوالدية

أوضح هوفمان Hoffman (١٩٧٠) ، سالتزستين Saltzstain (١٩٦٧) الطرق التنظيمية المختلفة بأن لاحظا أن هناك ثلاثة أشكال على الأقل من العقاب يستخدمها الوالدان :

أ- التأكيد على القوة power assertion : ويشير إلى استخدام العقاب البدنى ، الحرمان من الأشياء المرغوبة أو الامتيازات أو التهديد بذلك . وباستخدام هذا الشكل من العقاب يسيطر الوالد على الطفل من خلال ضعف الطفل وليس من خلال الذنب الذى ينجم عن تعرف الطفل على ذاته فى والديه.

ب- هناك شكلان من وسائل السيطرة ذات طبيعة سيكولوجية هما: التأكيد على عدم القوة ، والسيطرة من خلال سحب الحب Love - withdrawal ، والانسحاب يتضمن التعبير غير البدنى للغضب الوالدى او عدم الموافقة ، مثل التجاهل ، العزل والتعبير عن عدم الرضا للطفل ، وهذه الوسائل قد تكون أكثر

عقابية من العقاب التقليدى بسبب تهديدها الواضح بالتباعد ، والذنب بدوره يمكن أن ينشأ ويبدأ فى السيطرة على سلوك الطفل . وبعكس تأكيد (فرض) السيطرة فإن سحب الحب Love wighdrawal لقد يستمر لفترة طويلة بدلاً من أن ينتهى بسرعة نسبياً كما يحدث فى حالة العقاب البدنى.

جـ- أما الوسيلة الثالثة التى لا تلجأ إلى القوة هى: الاستقراء induction ، فعندما يفسر الوالد لماذا يجب ألا يقبل الطفل على سلوك ما - مثل تحذير الطفل من النتائج الخطرة للمس موقد ساخن أو اللعب بالكبريت ، فإن الوالد إنما يستخدم السيطرة الاستقرائية ليحاول إقناع الطفل بتغيير هذا السلوك من خلال قدرة الطفل على فهم أن بعض المواقف تتطلب ألواناً معينة من السلوك (Hofman, 1970) ، وثمة مظهر أخر للسيطرة بالاستقراء يتضمن إيضاح تأثير سلوك الطفل على الآخرين ، وهذا ما ينمى فهم الطفل لمدارك الآخرين ويساعده على إدراك تأثير أفعاله على الآخرين .

ومن أمثلة السيطرة بالاستقراء ما يتضمن الإشارة إلى مخاطر الجرى داخل المنزل، أو حمل الغازات بطريقة غير سليمة ، أو دفع الأطفال الآخرين وما إلى ذلك . وهذا النوع من السيطرة ينمى مظاهر النمو الخلقى ، وبعكس استخدام مظاهر القوة وسحب الحب ، فإن الاستقراء لا يقوم بأى محاولات لعقاب الطفل ، إذ يحاول الوالد أن يدرب الطفل على فهم نتائج أفعاله فى إطار موقف عقابى له تأثيرات مختلفة على نمو الطفل ، ولدينا بعض الأدلة على أن الوالدين اللذين يسجلان تقديرات عالية فى العدائية يميلان لاستخدام السيطرة التى تؤثر على القوة .

والوالدان اللذان يسجلان تقديرات عالية فى الدفء يميلان لاستخدام المدح والاستقراء ، حيث أن الوالدان اللذان يستخدمان العقاب البدنى يكون أطفالهم أكثر عدوانية ، أى أن الآباء الأكثر عدوانية ينشئون أطفالاً أكثر عدوانية وهذا هو الواقع .

سيطرة الوالدين وسلوك الأطفال :

لقد ربطت بعض الأبحاث أنماط السيطرة التى يتخذها الوالدان فى تربية

الأطفال بسلوكهم ، وقد لخص بيكر Becker (١٩٦٤) بحثاً فى إطار أبعدا سلوك الوالدين التى ناقشناها ، وبصفة عامة توجد أدلة وافية لتباين أن الوالدين اللذين يستخدمان قدراً كبيراً من العقاب البدنى ينشئان أطفالاً عدوانيين بمقاييس أخذت فى المنزل وفى المدرسة وفى مواقف اللعب بالدمى . وهذه العلاقة بين عداونية الوالد والطفل ترجع إلى ثلاثة عوامل:

- استخدام الوالدين للعقاب البدنى قد يسبب الإحباط للطفل ، وهذا بالتالى قد يولد الغضب الذى يظهر فى شكل سلوك عدوانى .

- أن الوالدين اللذين يستخدمان العقاب البدنى فى محاولة للسيطرة على سلوك أطفالهما يعتبران نموذجاً لاستخدام العدوانية ، والواقع أن هذين الوالدين قد يعلمان أطفالهما أن يسلكو سلوكاً عدوانياً .

- أن الوالدين العدوانيين اللذين يستخدمان العقاب قد يعززان بطريقة مباشرة السلوك العدوانى لدى أطفالهما.

ولاشك أن هناك بعض الحقائق فى كل من هذه التفسيرات ، وفى الوقت الحالى ليس باستطاعتنا إلا أن نقرر أن كل فرض له ما يؤيده فى الأبحاث ، غير أنه فى المستوى الوالدى العملى تظل الحقيقة قائمة وهى أن الوالدين الذين يستخدمان العقاب ينشئان أطفالاً عدوانيين .

إن الجزء الأكبر من الأبحاث عن سيطرة الوالدين على سلوك الأطفال يختص ببعد السيطرة والاستقلال الذاتى ، وتؤيد البحوث الافتراض أن الوالدين المسيطرين restrictive وهما أولئك اللذين يجبران الطفل على الالتزام بمعاييرهما ، وأنهما يربيا أطفالا سلبيين ومنسحبين اجتماعاً وغير أكفاء ، وبالمقارنة فإن الوالدين اللذين يتسمان بالسماحية permissive ، أى ، اللذان لا يتطلبان درجة عالية من الإذعان لمعاييرهما ، فإنهما يربيان أطفالاً يتصرفون بطريقة أقل حرصاً ويميلون لدرجة كبيرة من العدوانية ، وتدل المعلومات المستقاه من معهد أبحاث فيلز Fels

فى دراسة طولية لكاجان وموس Moss & Kagan (١٩٦٢) تدل على أن تأثيرات السيطرة الأمومية فى فترة الطفولة المبكرة (من الميلاد إلى سن ثلاث سنوات) لها تأثيرات تمتد إلى فترة طويلة .

إن أطفال الأمهات المانعات (المسيطرات) restrictiveness يميلون إلى أن يكونوا أكثر إذعانا واعتمادا على الراشدين ، وأقل عدوانية على الراشدين ، وأقل عدوانية وتنافسية ، أن المنع الأمومى خلال فترة العمر ٣-٦ سنوات كان لها تأثير أكثر تعقيداً إلى حد ما ، إن الصبية الذين يتعرضون للمنع سلكوا بطرق تتسم بالخوف والاعتمادية خلال سنوات الطفولة المتأخرة ، ولكنهم كانوا أكثر عدوانية (تنافساً وتأكيداً) فى فترة المراهقة .. إن النمط العام للتفاعل مع الأقران كان يدور حول محاولات لكسب تقبل الأقران. وثمة ميول مشابهة كانت موجودة بالنسبة للبنات فى فترة الطفولة المتأخرة ، وفترة المراهقة المبكرة ، ولمن مع بلوغ سن المراهقة تظل البنات يلبيات ويتصفن بالاعتمادية ، ومن ثم يبدو أن السلبية تؤدى إلى طراز سلبى اعتمادى للتفاعل الاجتماعى ، وتؤدى السماحية فيما بعد إلى زيادة عدوانية الشخص وإن كانت عدوانية ملائمة ومقبولة .

جدول (١) التفاعلات فى نتائج الدفء فى مقابل العدوانية ، والمنع مقابل السماحة

نمط التفاعل	المنع (السيطرة)	السماحة
الدفء	- خاضع ، معتمد ، مؤدب ، مطيع . - عدوانية إلى الحد الأدنى. - الصبية معتمدون ، عير ودودين غير مبتكرين ، موافقة إلى الحد الأقصى .	- نشيط ، منغلق اجتماعياً ، مبتكر ، عدوانى . -الحد الأدنى من فرض القواعد على الأبناء . - يهملوا فى اتخاذ دور الراشدين، الحد الأدنى من العدوانية الذاتية بالنسبة للأولاد، مستقلين ، ودودين ، مبتكرين - عدائية منخفضة .
العدائية	مشاكل عصبية ، أكثر مشاجرة	- انحراف

	وخجلاً مع الأقران . - ينسحبون اجتماعياً . - انخفاض فى اتخاذ دور الراشدين . - عدائية ذاتية إلى الحد الأقصى	عدم خضوع - أقصى عدوانية

إن تأثير المنع (السيطرة) / السماحة من الوالدين على نمو الطفل يرتبط بالمناخ العام للمنزل والذى تحدث فيه هذه العلاقة (Beker. 1984) . إن السماحية عند استخدامها فى مناخ منزلى يتسم بالعدوانية تؤدى إلى العدوانية عند الأطفال وإلى حدوث الانحراف فى الأحداث . ويؤدى إلى الجمع بين السماحية والعدوانية إلى توليد أقصى درجة من العدوانية ، إن المنع فى مناخ عدائى يؤدى إلى مستويات أعلى من العدوانية الذاتية أو القلق أو أعراض عصبية أخرى ، ويؤدى الجمع بين السماحية والدفء إلى أطفال ودودين ومعتمدين ومبدعين وأقل نسبياً فى مقاييس العدوانية .

إن الأطفال الذين يربون فى مناخ « مانع » restrictive ولكن دافئ يميلون إلى أن يكونوا معتمدين غير ودودين وأقل ابتكاراً ، وأكثر عدائية ، أما الأطفال الذين يربون فى بيوت تتسم بالسماحية مع الدفء يميلون لأن يكونوا اجتماعيين ومسيطرين ، ولكن فى حدود ملائمة ومقبولة من الآخرين .

والخلاصة أنه من المهم أن نؤكد بصفة عامة أن المنع والسماحة كلا منهما له نتائج سلبية وإيجابية وفى حين يؤدى المنع إلى سلوك مناسب اجتماعياً ومضبوط ، فإنه يساعد أيضاً على الاعتمادية ويقلل الاجتهاد العقلى ، كما أن السماحية تؤدى إلى سلوك اجتماعى وانطلاقى ، ولكنها تؤدى أيضاً إلى عدوانية زائدة .

والجدول السابق يوضح العلاقات بين سلوك الأطفال من ناحية وبين الدفء - العدوانية ، والمنع - السماحية من ناحية أخرى .

- إن السماحية فى مناخ عدائى تزيد العدوانية إلى أقصى حد وتزيد من السلوك المفتقر إلى السيطرة .

- والمنع عند جمعه مع العدائية يزيد العدوانية الذاتية (ميول انتحارية) والانسحاب الاجتماعى.

- أما الدفء والسماحة فيزيدان الفردية والسمات الاجتماعية الانطلاقية.

- وأخيراً فإن المنع فى مناخ دافئ تؤدى إلى أطفال على درجة عالية من الإذعان.

إن هذا التعميم يجب تفسيره ببعض الحذر فى معظم الأبحاث فلم يتم التوصل إلى أدلة عن الأباء ، علاوة على ذلك فإن النتائج محدودة بدرجة كبيرة وقاصرة على الطبقة المتوسطة ، وأن الأوصاف الواردة هنا تقدم بعض الأدلة عن الأبوة ، ولكن يجب ألا تؤخذ على أنها حقيقة مطلقة ، وفى التحليل النهائى توجد نماذج أبوية ونماذج عن تربية الطفل ولا تستطيع أن تحدد أيهما يناسب كل أب .

إساءة معاملة الأبناء

لا يمكن أن تكون هناك أى مناقشة كاملة عن تربية الأطفال child rearing بدون اعتبار المشاكل الصعبة المعقدة التى تتعلق بإساءة معاملة الطفل child Abuse ، وقد لا يوجد أى جانب لتربية الطفل يثير الرأى العام لدرجة أكبر مما أثاره هذا الجانب فى العصر الحديث ، وحيث أننا لا نستطيع أن نطرق سوى القليل من الموضوعات المتصلة بهذا الموضوع ، فإن القارئ المهتم قد يحب الرجوع إلى آراء بعض الباحثين مثل : Collmer, Park, 1972 , Rigler , Spinetta, 1977, (Bessharou, Fantana, 1975 .

تعريف إساءة معاملة الطفل:

إن إساءة معاملة الطفل يرجع عادة إلى الإفراط فى استخدام القوة المفروضة ،

وأساليب العقاب البدنى ، غير أن ثمة تعريف مناسب لإساءة معاملة الطفل يجب أن يأخذ فى الاعتبار عوامل أخرى علاوة على الاضرار الجسيمة التى يعانى منها الطفل . وحيث أن (٩٣٪) من الأباء يستخدمون العقاب البدنى بدرجات متفاوتة، فإن التعريفات التى تقتصر على استخدام العقاب البدنى قد تكون غير تمييزية وذات أدلة عملية قليلة.

وثمة عامل إضافى يتضمن مفهوم القصد - ها كان الوالد ينوى إلحاق ضرر جسمى بالغ بالطفل ؟

إن إدماج القصد فى تعريف إساءة معاملة الطفل ضرورى لاستبعاد الحالات التى يحدث فيها الضرر على أنها شكل من أشكال نبذ الطفل. أن صعوبة الحكم على القصد من جهة الوالد يصبح موضوعاً للبحث ، وحيث إن الاستدلال على القصد يتسم بالصعوبة فى محاولة الاعتماد عليه ، فإن بعض الأخطاء فى الحكم على القصد فى نبذ الطفل لابد وأن تحدث .

وهناك عومل إضافى آخر يجب إدراجه فى أى تعريف لإساءة معاملة الطفل ، هو معايير المجتمع المحلى الصغير بالنسبة لتربية الأطفال وخاصة فيما يتعلق باستخدام الوالدين للعقاب البدنى ، وقد يضع طرراً ما لنبذ الطفل فى طبقة اجتماعية معينة دون أخرى ، مثال ذلك أن إساءة معاملة الطفل يعرف جزئياً بمعايير المجتمع ، التى تختلف كدالة على الطبقة الاجتماعية ، ومساحة الإقليم ، والمجموعات الدينية وما إلى ذلك ، إن إدماج معايير المجتمع فى التعريف تساعد على جعله أكثر دقة وفائدة .

لقد اقترح بارك وكولمر Parke, Collmer (١٩٧٥ ، ص ٥١٣) التعريف التالى الذى يأخذ العوامل السابقة فى الاعتبار. ((أن إساءة معاملة الطفل يستدل عليها لكل طفل يلحق به أى ضرر جسمانى غير عرضى كنتيجة لأفعال من جانب الوالدين أو أولياء الأمور الذين ينتهكون المعاييرالاجتماعية الخاصة بمعاملة الأطفال.

كما عرف ستراوس Straus (١٩٧٩) الطفل المساء معاملته بأنه: ذلك الطفل الذى يتعرض لهجوم الوالدين ، ويتعرض للإساءة البدنية عن طريق العقاب البدنى، الدفع ، الركل ، الضرب بشدة بواسطة أشياء حادة مثل السكين .. إلخ.

فالطفل المساء معاملته هو نتاج مجموعة من العوامل متشابكة معقدة . فهو يخرج من أسرة متوسطة ومنخفض المستوى ، ومن أسر يكون الوالدان أنفسهما منبوذين ومساء معاملتهما ، ويكون الطفل فيها ضحية ، ونتيجة للنماذج الوالدية السيئة ، حيث يكون الوالدان عدوانيين أو لديهما مرض نفسى أو عصبى ، مستوى التعليم والثقافة محدودين ، العلاقة السائدة فى الأسرة يسودها التوتر والشجار الدائم ، كما أن الأسرة تكون كبيرة العدد ، العلاقة بين الطفل وأبويه متوترة ، ويلجأ الوالدان عادة إلى استخدام العنف والضرب على الطفل ، كما أن مفهوم الذات للوالدين يكون عادة منخفض جداً ، وفى أحيان كثيرة يكون معدل الذكاء للوالدين منخفض ، مضطرين قلقين ، وهذه هى بعض العوامل التى تؤدى إلى (نبذ الطفل) (Keller & Erne, Diane, 1983) .

معدل حدوث إساءة معامل الطفل :

من الصعوبة بمكان الحصول على إحصاءات عن حدوث إساءة معاملة الأطفال فى أى بلد من بلدان العالم ويرجع ذلك إلى عدم قيام الوالدين بعرض الطفل الذى أصيب بالضرر للعلاج الطبى ، وعدم قيام الأطباء بالتبليغ عن حالات إساءة معاملة الطفل ، وتغير الوالدان اللذان يكرران إيذاء أطفالهما .

وكنتيجة لهذه الصعوبات وغيرها فإن الدليل على نبذ الطفل لا يمكن التوصل إليه إلا بطريقة تقريبية ، وحتى مثل هذا التقدير يكون مشكوكاً فيه ، علاوة على ذلك فإن الحالات الدالة على زيادة حالات إساءة معاملة الأطفال من الصعب تفسيرها لأنه لا يمكن تحديد ما إذا كانت الزيادات لا تمثل سوى الزيادة فى حالات الإساءة التى تم التبليغ عنها ، أم هى زيادة فعلية فى حالات إساءة معاملة الأطفال

غير أنه ليس واضحاً ما إذا كان ذلك يمثل زيادة حقيقية فى الدليل أو هو نتيجة لإجراءات التسجيل الجديد. ورغم هذه الصعاب فإنه من الممكن الحصول على بعض التقديرات عن حوادث إساءة معاملة الطفل. وثمة تقدير متحفظ فى عام ١٩٧٠ يرى أنه كان هناك ما يقرب من خمسمائة ألف طفل منبوذ فى الولايات المتحدة (Light, 1993) وذكر آخرون أن الأعداد المبلغ عنها تعادل ٥٠٪ من الحالات الفعلية ، وهناك دليل آخر أكثر تطرفاً أصدرته وزارة الصحة والتعليم والرفاهية فى الولايات المتحدة (١٩٩٦) تفيد بأن هناك من ٢,٥ إلى ٤ مليون طفل يتعرضون لإساءة المعاملة. ومهما كان التقدير الذى تميل إلى تصديقه ، فمن الواضح أن عدداً كبيراً من الأطفال يتم إساءة معاملتهم وأن المسألة تشكل خطورة. وإذا كان يحدث فى الولايات المتحدة - فلاشك أن هذه الظاهرة أكثر وضوحاً وتكراراً فى الدول النامية ، رغم عدم وجود إحصاءات موثوق بها .

أسباب إساءة معاملة الطفل :

حاولت الأبحاث فى موضوع إساءة معاملة الأطفال أن تحدد سمات التفاعلات الشخصية والاجتماعية بين الوالدين والطفل التى تتصل بنبذ الأطفال ، وسوف نقصر مناقشتنا على المعلومات التى تتصل بالسمات الشخصية للآباء الذين يقومون بإساءة معاملة الأطفال ، وما تتسم به علاقات الوالدين بالطفل من سمات تتصل بإساءة معاملة الأطفال ، لقد وصف الآباء الذين يقومون بإساءة معاملة أطفالهم بأنهم مندفعون ، متمركزون حول ذواتهم جامدون ، غير ناضجين ، وما شابه ذلك . وتدل هذه الأوصاف على أن الآباء الذين يقومون بإساءة معاملة أطفالهم لديهم نقص فى الشخصية يساعدهم على التعبير عن سلوك عدوانى بكثرة وبشكل متطرف ، ولكن ليس هناك دليل ثابت يشير إلى سمات محددة أو مجموعات سمات يمكن أن تميز الآباء الذين يقومون بإساءة معاملة أطفالهم بطريقة واضحة عن الذين لا يقومون بذلك .

وهناك اتفاق على أن الآباء الذين يقومون بنبذ أطفالهم كانوا هم أنفسهم يتعرضون لإساءة المعاملة والإهمال فى طفولتهم ، وإن الآباء الذين يقومون بإساءة معاملة أطفالهم هم أيضاً من أسر كانوا فيها موضع نقد ويفتقدون الرعاية ، ويبدو أن الآباء الذين يقومون بإساءة معاملة أطفالهم يتعلمون أن يربوا أطفالهم بطريقة انتقالية ترجع فى جزء منها إلى أنهم يحتذون بآبائهم فى إجراءات تربية الأطفال ، وكنتيجة لذلك توجد هناك درجة من ثبات التداخل بين الأجيال ، والتطابق فى إساءة معاملة الأطفال .

الأسباب التى تدعو الأطفال إلى الشعور بانهم غير مرغوب فيهم (منبوذين) :

- إهمال الأطفال وعدم السهر على راحتهم وإشباع حاجاتهم.
- انفصال الطفل عن والديه.
- التهديد بالعقاب البدنى الشديد.
- كثرة التحذيرات.
- إذلال الطفل ، ويتمثل فى الشعور المستمر بالسخرية .
- أن تكون الأم أو الأب عصبى المزاح ، يسود سلوكهم الضجر والتذمر وهما يقومان بإشباع حاجات الطفل .
- عدم حماية الأطفال والاهتمام بشئونهم.

اثر إساءة المعاملة على سلوك الأطفال :

١- إن الطفل المساء معاملته يكون قلقاً مضطرباً شديد التعلق بوالديه.

٢- القيام بأنواع مختلفة من السلوك الشاذ وقد يصل إلى درجة السلوك العدوانى ليلفت الانتباه أو القيام بسلوك يتميز بالمقاومة والعناد والثورة.

٣- فى حالات أخرى قد يعرض الطفل المنبوذ نفسه للجروح والكدمات

(عدوان موجه نحو الذات) ليلفت إليه الانتباه.

٤- القيام بسلوك يدل على حقد الأطفال على البيئة المحيطة بهم ، ونجدهم يسببون مشاكل عديدة لأنفسهم وللمحيطين بهم . (مصطفى فهمى: ١٩٧٩ ، ١٦٢-١٦٤) .

ولقد أكدنا فى هذا الفصل على أهمية دراسة التفاعلات بين الوالدين والطفل عند وصف نمو الطفل ، ويتضح ذلك من الانتقاء الذى يحدث فى إساءة معاملة الطفل ، إذ إنه لا يتعرض كل الأطفال فى الأسرة لإساءة معاملته ، ويوضح بارك وكوليمار Park & Collimer (١٩٧٥) عاملان يتصلان بالطرق التى يمكن بها للطفل أن يسهم فى تقديم إساءة المعاملة لنفسه :

- الأول: أن الطفل قد يكون لديه سمة وراثية أو جسمية أو سلوكية تجعله أكثر احتمالاً لأن يكون هدفاً لإساءة المعاملة.

- والثانى: أن التفاعل بين الوالدين والطفل قد يعلم الطفل أنماطاً سلوكية قد تؤدى إلى مزيد من إساءة المعاملة ، ويعتبر رد فعل الطفل للعقاب ظاهرة ذات أهمية خاصة .

مثال ذلك: أن الطفل الذى يكون رد فعله للعقاب متسلما بالتحدى ، من المحتمل أن يجعل ذلك الوالد يزيد من شدة العقاب فى المستقبل ، وقد تتولد حلقة مفرغة تنتهى باستخدام الوالد للعقاب الجسمى الشديد الذى يؤدى الطفل ، ولا يزال هناك الكثير الذى يجب أن نتعلمه عن إساءة معاملة الطفل ، وكيف نعامله معاملة سوية ، وتبدو المعاجلة التفاعلية فى هذا المجال مشجعة ، ومن الواضح فى الوقت الحاضر أن استخدام الوالدين للعقاب البدنى الشديد لا يرجع إلى الطفل فقط ولكن يساعد على تكوين تطابق بين الأجيال فى وسائل تربية الطفل ، وترجع إلى المجتمع أيضاً ، وتتحدد به .

* * *

نمو التعلق بالوالدين

إن التعلق Attachment أمر يتصل بالإنسان والحيوان ، وهو بداية لمزيد من النمو الاجتماعى كما يرى ذلك كل من : مارتن Martin (١٩٧٥) ، اينزورث Ainsworth (١٩٧٣) ، ماكوبى وماسترز Maccoby & Masters (١٩٧٠) ، شافرا وامرسون Schaffer & Emerson (١٩٦٤) .

وخلال السنوات الأخيرة ازداد اهتمام علماء النفس باطراد مسار التعلق وثباته مع الوقت ، وأنواع التفاعلات الوالدية التى تساعد عليه ، وأهميته بالنسبة للنمو المعرفى ، والانفعالى ، والشخصى.

إن التعلق يصعب تعريفه - ويعتقد معظم علماء نفس النمو أنه يستدل عليه من خلال الاستجابات إلى تهدف إلى البحث عن القرب proximity من جانب الصغار فى أى جنس ، وقد عرف إمرسون وشيفر Schaffer & Emerson التعلق بأنه: ((الميل من جانب الطفل للبحث عن القرب من عضو آخر من نفس النوع)). إن التعلق يتركز عادة على أفراد معينين فقط ، فى حين تظهر استجابات الخوف بالنسبة لأفراد آخرين .

إن السمة الرئيسية للتعلق هى التخصيص بالنسبة لاستجابات عضو معين أو أكثر من نفس النوع (الجنس).

إن هذا التقسيم للتعلق يتميز عن الأنماط السلوكية الأكثر شمولاً التى تسمى بالاعتمادية والتى نربطها بالأطفال الأكبر سناً.

وهناك أنواعا كثيرة من الحيوانات تبدى تعقا ، فصغار الفصيلة يبحثون عن اتصال بصرى أو سمعى أو جسدى أو قرب من أعضاء الفصيلة الآخرين ، وهناك دليل آخر على التعلق هو احتجاج الصغير أو حزنه عندما ينفصل عن الأعضاء الآخرين فى الفصيلة ، وبالنسبة لصغار الأطفال استخدم عدد من السلوكيات لتصنيف التعلق ، وهذه السلوكيات تتضمن الاحتجاج فى حالة الانفصال عن

الوالد كقاعدة أمنية يكتشف من خلالها البيئة ، أو الاقتراب من الوالد ، أو الخوف من الغرباء ، أو الابتسام أو التحدث للأب والتعلق بالوالد ، وفى معظم الأبحاث اتجهت سلوكيات التعلق هذه نحو الأم . غير أننا سنرى فيما بعد أن الأطفال أيضاً يصبحون متعلقين بالأب أو بأشخاص أو أشياء أخرى.

أبحاث بولبى :

كان جون بولبى John Bowlbly (١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٣) من أول الباحثين فى موضوع التعلق فى الأطفال الآدميين من الناحية البيئية ، وهو يعتقد أن التعلق البشرى له أساس بيولوجى لا يمكن فهمه إلا فى إطار تطورى ، وبالرغم من أنه يعترف بدور التعلم فى التعلق البشرى ، إلا أنه يعترف أن التركيب العضوى الإنسانى مزود بأنماط سلوكية ثابتة نسبياً تعمل على خفض احتمال تعرض الوليد للموت قبل الوصول إلى مرحلة النضج . وهذه الأنماط التى تعبر ضرورية لبقاء النوع تولدت عن التاريخ التطورى للإنسان: فقد قامت وظائف تشبه وظائف التعلق فى الأشكال الحيوانية الأدنى مرتبة ، وأهمها ((حماية الصغار)) ولكى تكون هذه السلوكيات فعالة يجب أن تكون موجهة إلى الأعضاء الراشدين من النوع ، وخاصة الأم ، وهذه السلوكيات تضمن الرعاية النسبية من الراشدين ، ومن ثم تعمل كطرق يستطيع الطفل فيها أن يتأكد من البقاء طوال فترة الطفولة .

ويهدف التعلق إلى وضع الطفل على اتصال وثيق ببعض أعضاء النوع وهو ينشط عندما ينفصل الصغار عن هذا العضو أو يهددونه بذلك.

وسلوك التعلق ينتهى بالإثارة البصرية أو السمعية أو اللمسية من جهة العضو المتعلق من النوع وهو عادة الأم. وكلما كان الانفصال أو التهديد شديداً ، زاد مقدار الانفعال اللازم لإنهاء سلوك التعلق ، مثال ذلك : أن التهديد الشديد قد يولد سلوكيات لا تنتهى إلا عندما يقوم الطفل بالاتصال بالعضو المتعلق به ، فى حين أن تهديداً أقل درجة قد يولد سلوكيات تعلقية تنتهى بمجرد رؤية العضو المتعلق به .

ويعتقد بولبى Bowlby (١٩٦٩ ، ١٩٧٣) أن الإنسان قد طور الأنماط السلوكية التى تعكس التعلق ، وبتوجيه سلوك التعلق نحو الراشدين ، وعادة من يقوم بالرعاية الأولية له ، فإن الطفل يضمن الرعاية المناسبة ويزيد فرصته للبقاء إلى فترة طفولة طويلة . ويقول ((بولبى)) أن الأطفال الصغار لديهم خمسة أنواع من السلوك المحدد تساعدهم على إحداث وإبقاء الاتصال بالراشدين منها: التشبث Clinging ، والمص Sucking ، والملاحقة Following ، تعمل على إبقاء الاتصال بالنوع ، أما البكاء Crying ، والابتسام Smiling ، فيجعلان الراشد يقوم بالاتصال الاجتماعى مع الطفل ، ومع نضج الطفل تتكامل هذه السلوكيات وتتركز حول الأم وتكون الأساس للتعلق بها ، ومع التقدم فى السن ، فإن السلوك يفترض أن يتحول من الاتصال البدنى بالأم إلى اتصال أكثر بعداً ، بما فى ذلك المساندة الانفعالية Emotional support .

دورة تطور التعلق الاجتماعي:

يمكن تقسيم دورة تطور التعلق الاجتماعى إلى ثلاث مراحل وهى:

١- مرحلة اللاجتماعية: (عدم التعلق الاجتماعى):

وهى تبدأ منذ الميلاد ، حيث أشارت الدلائل إلى أن الطفل الرضيع لا يبد أى تعلق اجتماعى بالآخرين ، وأعتبر الباحثون أن الرضيع (غير متعلق) اجتماعياً فى الشهور المبكرة من حياته ، وليس معنى التعبير (لا اجتماعى) هنا : أن الرضيع لا يستجيب للمثيرات الاجتماعية ، بل المقصود أن استجابته للمثيرات الاجتماعية لا تختلف كثيراً عن الاستجابة للمثيرات الأخرى ، وقد وصل الأمر ببعض الباحثين إلى افتراض أن تمييز الطفل لنفسه عن المثيرات فى البيئة الخارجية يكون هدفا رئيسياً لهذه المرحلة واعتبروا هذا شرطاً ضرورياً لتطور التعلق الاجتماعى فيما بعد .

٢- مرحلة ((ما قبل الاجتماعية)):

وتبدأ هذه المرحلة تقريباً فى الشهور الأولى حتى الشهر السابع ، وتسمى هذه

المرحلة أحيانا مرحلة ((التعلق غير التمييزى)) . والطفل فى هذه المرحلة ، ومن خلال تفاعله مع الآخرين يتعلم أن يفرد الأشخاص كمواضيع تثيره وتستجيب له أكثر من غيرها فى العالم حوله ، فهو لا يزال لا يعرف أن هؤلاء الأشخاص أمه أو أبيه مثلاً ، لكن يبدو أن هذا ليس مهما فى هذه المرحلة ، وتتميز هذه المرحلة من التعلق الاجتماعى بغياب الاختيار ، فالطفل يبتسم للوجوه دون أن يميز وجه مألوف وآخر غير مألوف ، والطفل قد يحتج إذا ما فصل عن شخص معين ، لكن استبدال هذا الشخص بشخص آخر ، لا يؤثر فى الطفل .

٣- مرحلة الاجتماعية : التعلق الاجتماعى المتخصص :

وهذه هى المرحلة الأخيرة تبدأ عادة بعد الشهر السابع تقريباً وهنا يبدأ الطفل فى الاحتجاج إذ غاب عنه شخص معين (الأم فى العادة) ، وتظهر على بعض الأطفال عاملات التعلق بأكثر من شخص ، ولكن يظل هؤلاء أشخاصاً معينين ، ولذا يتضح أن الطفل يكون قادراً على أن يميز أمه عن الأفراد الآخرين ، فهو يتعلق بها دون غيرها ، وكحاضنة رئيسية له تمثل له شخصاً ذا دلالة ، ولهذا سميت هذه المرحلة بالمرحلة (الاجتماعية) .

وتشير الدراسات: إلى أن التعلق يتطور بشكل سريع ، ويجب ملاحظة أن المراحل السابقة للتعلق تختلف من مجتمع لآخر ، كما أنها تتأثر بعوامل النضج ، وبالخبرات الاجتماعية المبكرة التى يمر بها الرضيع ، وتتأثر كذلك بطريقة التربية ، ولذلك من الصعب ربط كل مرحلة بعمر معين .

أبحاث شافر وإمرسون Schaffer & Emerson :

قام هذان الباحثان (١٩٦٤) بإجراء واحدة من أولى الدراسات الطولية حول التعلق لدى الإنسان ، مستخدمين مجموعة من (٦٠) طفلاً اسكتلندياً ، وقد قام هذان الباحثان بتعريف التعلق على أنه ميل الطفل إلى البحث عن القرب من أعضاء النوع الآخر ، كما يدل على الاعتراض على الانفصال عن هؤلاء الآخرين

وقد أرادا فى بحثهما أن يستطلعا السن الذى يبدأ فيه التعلق ، ومدى شدته وأهدافه ، وقد لاحظا واختبرا (٣١) ذكراً ، (٢٩) أنثى ، وقد قيس التعلق فى عدد من ظروف الانفصال عن الأم : ترك الطفل بمفرده فى حجرة ، تركه مع أشخاص آخرين ، تركه فى عربة خارج المنزل أو خارج محل تجارى ، ووضعه فى الفراش ليلا ، وضعه بعد أن كان محمولاً ، والمرور عليه وهو ما يزال فى الفراش ، هذا والنتائج التى جمعت بياناتها خلال المقابلات مع الأمهات كل أربعة أسابيع فى السنة الأولى من الحياة ثم فى سن ١٨ شهراً ، كانت تتضمن :

مظهر احتجاج الطفل على الانفصال ومدى تكراره وشدته ، والشخص الذى وجه إليه الاعتراض ، أى الشخص الذى أدى رحيله إلى حدوث الاستجابة ويبدأ ظهور التعلق فى الربع الثالث من السنة الأولى ، وفى أثناء الستة شهور الأولى يحتج الطفل عادة عندما يرحل أى شخص كان قريباً ، وهو شكل من أشكال التعلق غير التمييزى ، ويقترح ((شافر وإمرسون)) أنه فى خلال الستة شهور الأولى يبحث الطفل عن الاتصال وجذب انتباه الأغراب والمألوفين على حد سواء مما يدل على التعلق بالناس عامة ، وفى خلال الستة شهور الثانية من الحياة فقط يقوم الطفل بإظهار الاعتراض على الانفصال عن أشخاص معينين وبذلك يظهر التعلق بأناس معينين ، وخاصة الأم . وهذه التعلقات الشديدة تبلغ الذروة بين سن ١٢ ، ١٨ شهراً .

إن طفلاً واحداً أظهر تعلقا خاصا فى سن (٢٢) أسبوعاً ، ولكن الأطفال الآخرين لم يظهروا هذا التعلق إلا بعد أن بلغوا من العمر عاماً أو أكثر .

وإذا كان المتعلق به هو شىء واحد محدد ، فإن ٦٥٪ من أفراد العينة اختاروا الأم . أما الأطفال الباقين فغالباً قد اختاروا الأب. وكان الأشخاص الآخرون بالنسبة للتعلق المتميز هم غالباً من أفراد الأسرة وليس من أفراد المجتمع المحلى أو أصدقاء الوالدين ، وعندما يأتى الوقت الذى يكون فيه الطفل تعلقاً محدداً ، فإن

عدد الأشخاص الذين يتعلق بهم الطفل يزداد ببطء، بحيث يصبح الطفل العادى متعلقاً بعدد من أشخاص مختلفين ، وهو فى سن ١٢ ، ١٣ ، ١٤ شهراً . وتدل هذه النتائج على أن عملية التلعق تتكون من ثلاث مراحل: ففى المرحلة الأولى أو المرحلة اللاجتماعية يبحث الفرد عن الإثارة من كل أجزاء بيئته. وتستمر هذه المرحلة إلى نحو سن سبعة شهور ، وفى المرحلة قبل الاجتماعية يقوم الفرد بتمييز الكائنات البشرية كأشياء باعثة على الرضا ويحاول نشطاً أن يبحث عنهم ، وفى المرحلة الأخيرة أو الاجتماعية ، وهى التى تبدأ فى سن حوالى ثمانية أشهر يكون الطفل متعلقاً بأشخاص معينين .

إن الاحتجاج على الانفصال يقل عند سن حوالى (١٨) شهراً ، عندما يتم نمو الطفل ويفهم أن الوالد ما يزال موجوداً حتى ولو لم يعد يراه .

إن هذه النتيجة تدل على أن العوامل المعرفية تلعب دوراً له دلالته فى نمو التعلق والاحتجاج على الانفصال.

التعلق والاستكشاف:

يمكن أيضا النظر إلى التعلق على أنه آلية تكيفية لاكتشاف البيئة (Ainsworth, 1973) اللازمة لكى يتعلم الطفل مما يحيط به.

إن الأطفال الصغار يستخدمون الأم كقاعدة آمنة يستكشفون منها ، إن التعلق يبقى الطفل على اتصال آمن بالأم بعيداً عن الخطر ، كما أنها تعمل على جعل الطفل يبحث عن الأم إذا ما طرأ خطراً . وهذا الرأى عن العلاقة بين التعلق والاستكشاف هو أساساً عبارة أخلاقية مثل الرأى الذى إقترحه « بولى » ، أن العلاقة بين الطفل ومن يقوم بالرعاية تضمن الحماية لصغار النوع اللازمين لنضج وتقدم النوع .

جدول (٢)

الوقت والأحداث فى الموقف الغريب

الأحداث	الزمن بالدقيقة
١- الأم حملت الطفل إلى الحجرة الغريبة ، ويصحبها مراقب، ثم غادرها المراقب.	٣
٢- بعد وضع الطفل على الأرضية ، جلست الأم فى مقعد	٣
٣- دخل الغريب ، وجلس بهدوء لمدة دقيقة ثم تبادل الحديث مع الأم لمدة دقيقة ، ثم اقتراب ببطء من الطفل ، وبعد ذلك بثلاث دقائق خرجت الأم .	٦
٤- الترتيبو الطفل وحدهما فى الحجرة.	٣
٥- عادت الأم وخرج الغريب ، تاركاً الأم والطفل وحدهما .	٣
٦- ترك الطفل وحده	٣
٧- عاد الغريب وبقى مع الطفل	٣
٨- عادت الأم وخرج الغريب	انتهت الجلسة

وقد صممت إينزورث Ainsworth وزملاؤها ، ما يعرف بالموقف الغريب ، كما فى الجدول السابق والذى يتكون من سلسلة من مواقف الانفصال والاتصال بين الأم والصغير من تتابع مخطط للمواجهات بين الطفل وشخص غريب ، ويتضح من سلوك الطفل فى هذه المواقف نواحى عديدة مختلفة من التعلق . وقد استخدم وينتج وإينزورث Ainsworth , Witting (١٩٦٩) موقف الغريب لدراسة نمو التعلق لدى ٥٦ طفلاً صغيراً فى سن (٤٩-٥٦) أسبوعاً . وقد سجل

هذا الباحثان عمليات البحث والاستكشاف والقرب والاتصال ، وكذلك الإبقاء على الاتصال . وقد حدثت استكشافات حركية ويدوية وبصرية مرات عديدة عندما كانت الأم موجودة ، وقلت بدرجة حادة عندما دخل الشخص الغريب إلى الحجرة .

أما البحث عن الاتصال والاحتفاظ به فكانا ضعيفين أثناء الأحداث الأولى ولكنهما ازدادا أثناء الانفصال ، وفى أول مرة يعاد الاتصال فيها بالأم كان الإبقاء على الاتصال وقد حدثت استكشافات حركية ويدوية وبصرية مرات عديدة عندما كانت الأم موجودة ، وقلت بدرجة حادة عندما دخل الشخص الغريب إلى الحجرة.

أما البحث عن الاتصال والاحتفاظ به فكانا ضعيفين أثناء الأحداث الأولى ولكنها ازدادا أثناء الانفصال ، وفى أول مرة يعاد الاتصال بالأم كان الإبقاء على الاتصال متزايداً جداً ، بل وتزايد أكثر أثناء الاتصال للمرة الثانية ، وتدل هذه النتائج على أن الأم تكون بمثابة قاعدة أمنية يبدأ منها الطفل استكشاف بيئة جديدة، وعندما تكون الأم حاضرة ، فإن الطفل يشرع فى الاستكشاف ويتغلب على تعلقه ، وعندما تخرج الأم يتوقف الطفل عن استكشافاته ويزيد من شدة تعلقه .

التنشئة الاجتماعية والتعلق الاجتماعى:

قامت العديد من الدراسات بدراسة أثار ممارسات التنشئة الاجتماعية المتعلقة بأوضاع الطفل فى تطور التعلق الاجتماعى عنده ، وبخلاف ما تؤكده نظرية التحليل النفسى فليست هناك أى بيانات تشير إلى علاقة بين طريقة الإرضاع مثلاً (من الثدى أو من الزجاج .. الخ) وبين شدة التعلق الاجتماعى ، أو من زمن بداية ظهوره ، بل تشير الدراسات إلى أن الناحية العامة هى العلاقة بين الطفل وأمه فى أثناء الرضاعة .

كما أشارت الدراسات إلى أن الأمهات اللائى يستجبن بسرعة للإشارات من

أطفالهن يحصلن على أطفال أكثر تعلقا بهن ، مما يتعلق أطفال الأمهات اللاتى يتأخرون فى الاستجابة لتلك الأمهات . والأهم من سرعة الاستجابة أن تكون هذه الاستجابة مناسبة لما يبدو على الطفل من علاقات اضطراب ، وهذا الأمر تتعلمه الأم بعد طول عناء بحيث تصبح قادرة على تمييز ما يريده طفلها بتلك الإشارات ، أى أنها أصبحت وإياه فى علاقة تفاعل متبادل تتأثر بإشاراته وتؤثر فيها .

وتبدو أهمية هذا التفاعل واضحة فى ممارسة التنشئة الاجتماعية ، تتعلق هذه الممارسات بمدى تواجد الأم مع الطفل ، فبالرغم من أن الدراسات لم تستطع تحديد الطول الأمثل للفترة التى تقضيها الأم مع طفلها ، إلا أن العامل الأهم هنا هو المدى الذى يتفاعل به من يعتنى بالطفل مع مدى مداعبته ، اللعب معه ، والابتسام له ، والتحدث إليه .

وأخيراً ، فهناك ممارسات أخرى للتنشئة الاجتماعية ، وتلعب هذه الممارسات دوراً مهماً فى تطور التعلق الاجتماعى ، والمهم هنا أن التعلق يضع الأساس لمدى تقمص الطفل للشخصية التى تعلق بها ، فالتعلق أو النفور يؤثر فى الشخصية التى يتقمصها الفرد ، كما يضع الأسس لعلاقات الطفل الاجتماعية بغيره من أفراد أسرته وجيرانهم ، ومع كل من يتعامل معه ، وتظهر هذه العلاقات فى شكل : اللعب ، الصداقة ، العطف ، المكانة الاجتماعية ... إلخ.

الأم والتعلق :

أن معظم الأبحاث عن التعلق فى الفترة الأخيرة هدفت إلى التعرف على أنماط تربية الطفل التى ترتبط بأساليب الطفل فى مواجهة البيئة الغريبة ، وقد صمم كل من : اينزورث وبيل وستايتن Ainsmroth, Bell, Staytan (١٩٧٠) خطة لتصنيف الأطفال طبقاً لردود أفعالهم نحو البيئة الغريبة ، وقد تحددت ثلاث مجموعات من الأطفال الصغار : (AS , BS , CS) على أساس سلوكهم فى الموقف الغريب :

- فقد أبدت المجموعة As رغبة ضعيفة فى الاتصال أو القرب من الأم ،

وعندما تم حملهم لم يتشبثوا أو يقاوموا إعادة وضعهم ، لقد مالوا إلى تجنب الأم أو إهمالها عند عودتها : فقد ابتعدوا عنها وبالوالى عدم النظر إلى وجهها ، ويعرف هؤلاء الأطفال أحيانا باسم ((غير المتعلقين)) .

- أما المجموعة Bs فقد بحثوا عن الاتصال بالأم وأبقوا على الاتصال بها بعد انفصال قصير ، كما أنهم أظهروا درجة عالية من الأبقاء على الاتصال ، علاوة على ذلك فإنهم نادراً ما تجنبوا الأم أو قاوموها ، ويعرف هؤلاء الأطفال باسم ((المتعلقون فى أمان)) .

- أم المجموعة Cs فكانوا يتفاعلون بعنف للانفصال عن الأم ، وهم يميلون لعدم استكشاف البيئة - حتى مع وجود الأم ، وبعضهم كان يبحث بنشاط عن القرب والاتصال ، وفى نفس الوقت يندفعون بعيدا عن الأم ، وبعض أطفال هذه المجموعة لا يظهرون أى إشارات من البحث بنشاط عن الأم وهؤلاء الأطفال يعرفون أحياناً باسم ((المتعلقون فى غير أمان)) .

الأب المتعلق :

هناك أدلة كثيرة على أن الأطفال الصغار يتعلقون بكل من الأب والأم منذ بداية علاقات التعلق، ولم نجد غير دراسة قامت بها لامب Lamp (١٩٧٥ ، ١٩٧٦) حيث قامت بدراسة التعلق بين الطفل والأب ، أو دور الأب كشخص تعلقى ، وأفترضت أن الطفل سوف يظهر سلوكيات تعلق مختلفة تحت الضغوط ، ولكن تحت ظروف غير ضاغطة فإنهم لا يظهرون فروقاً فى التعلق بالأم أو الأب ، ولكى يختبر هذا الفرض صمم لامب Lamp موقفاً معيناً التواجد وعدم التواجد المنتظمان للأم وللأب ولشخص غريب .

وتعتقد لامب Lamp أن ذلك يرجع فى جزئية إلى الاختلاف فى تفاعلات الأب والأم ، وأثناء الحدث الأول تكون الأم والأب والطفل معاً ، أما فى الحدث الثانى فتكون الأم فقط (أو الأب) مع الطفل . بينما يتضمن الحدث الثالث شخص آخر غريب مع الطفل ، أما الحدث الأخير فيتضمن الأم والأب والغريب والطفل (Lamp, 1976) . وقد سجلت سلوكيات الطفل متضمنة: الابتسام ، والتحدث ، والنظر ، والوصول ، والتلامس ، والاقتراب ، والتواجد بالقرب من شخص آخر ،

وقد قسمت لامب Lamp سلوكيات الطفل نحو والديه إلى مجموعتين : وتكون سلوكيات الاقتراب عبارة عن استجابات توجه نحو الوالد ، مثل ذلك : الابتسام ، والنظر ، والضحك . أما سلوكيات التعلق فهى عبارة عن استجابات تدل على التقرب وتشمل: التلامس ، والسعى لكى يحمل الطفل ، والاقتراب ، والسعى للتواجد أقرب ما يمكن للوالد .

وفى كل من المنزل والمختبر لم يظهر الأطفال الصغار أى فروق فى التعلق بالوالدين فى فترة الحدث الأول الخالية من الضغوط نسبياً ، غير أنهم أبدوا مزيداً من الاقتراب نحو الأب أكثر مما أظهروه نحو الأم . وخلال الحدث الرابع الأكثر ضغطاً أظهر الأطفال سلوكيات تعلق أكثر نحو الأمهات منه نحو الأباء ، كما وجهوا مزيدا من سلوكيات التقرب نحو الأم فى الموقف الأكثر ضغطاً ، وعندما تسنح الفرصة للاختبار فى الموقف الضاغط فإن الأطفال كانوا يفضلون الأم .

وترتبط هذه الفروق فى سلوكيات التعلق والتقرب بالتفاعلات اليومية التى تحدث من الوالدين مع الطفل (Lamp, 1977) . وتقوم الأمهات باتصالات جسمية مع الأطفال أساساً فى فترة الرعاية ، فى حين يؤدى الآباء الاتصال الجسمانى أساساً أثناء اللعب ، وترى لامب Lamp أن الأطفال يستطيعون التمييز بين هذه التفاعلات ، وأن الفروق فى سلوكيات تعلقهم تحت ضغوط تعكس هذا المفهوم ، وإذا سنحت للطفل فرصة الاختبار فإنه يفضل أن يتعلق بالأم - وهى الوالد الأكثر ارتباطاً بالتغذية (التنشئة) ، غير أنه إذا لم تكن الأم موجودة فإن الأب يمكن أن يكون بديلاً مقبولاً للتعلق به ، وإذا لم يكن كلا الوالدين موجوداً فإن الطفل يظهر سلوك تعلق بالغريب .

أن التعلق لدى الطفل يدل أيضا على النمو المعرفى كما يظهر ذلك فى الطرق المختلفة التى يفسر بها الطفل بيئة ، ويجب أن يكون الطفل قد حقق مستوى معين من النمو المعرفى قبل أن يتمكن من إدراك أنه فى بيئة جديدة ، أو أن فرداً ما غريباً ويجب أن يتوصل إلى قدر معين من التقييم المعرفى الذى يعكس تفسيراته المختلفة لتفاعلاته مع الأب ومع الأم.

المراجـع

١- حسن مصطفى عبد المعطى (١٩٨٩): اتجاه الأمهات نحو تربية الطفل وحياة الأسرة ، المؤتمر السنوى الثانى للطفل المصرى (تنشئة ورعايتـه) ، القـاهرة : مركـز دراسات الطفولة جامعة عين شمس .

٢- حسن مصطفى عبد المعطى، هدى محمد قناوى (٢٠٠١): علم نفس النمـو، الجزء الثانى (المظاهر والتطبيقات) ، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .

٣- مصطفى فهمى (١٩٧٩): التكيـف الـنفس والاجتمـاعى. القـاهرة: مكتبـة نهضة مصر.

4- Ainsworth, M.D.S (1973): Anxioun attachments and defensive reaction in a strang situation and their relationship to behavior at home. Paper Presented at the Biennial Meetings of the Society for Research in Child Development, Philadelphia, Pa. April.

5- Bandura , A.(1969): Social learning theory identificatory process. (In) D. Goslin (Ed.) Handbook of socialization theory and research . Chicago:Rand Mc-Nally.

6- Becker, W.C. (1964): Consequences of different kinds of parental discipline, (In) M.L. Hoffman& L.W. Hoffman (Eds.)Review of child development research. New York :Russell sage Foundation.

7- Becker, W.C. & Krug , R.S. (1964): A circumplex model for social bchavior in children . Child Development,35

8- Bell. R.G (1968) A reinterpretation of the direction of effects in studies of socialization. Psychological Review. Vol. 75.

9- Bowlby & J (1969) :Attachment and loss: Attachment. New York: Basic Books.

10- Bowlby, J.(1973) : Attachment and loss : Speration. New York: Basic Books.

11- hofman, M.L. (1970), Moral development. (In) P.H. Mussen (Ed.) Carmichichael's manual of child psychology. New York: Wiley.

12- Lamb , M.E. (1975) : Fathers: Forgotten contributors to child development. Human Development, 18.245-266.

13- Lamp, M.E. (1976) : Therrole of father in child development.

New York: Wiley.

14- Lamp, M.E. (1977): Father- infant and mother – infant interaction in the first year of life. Child Development, 48, 167-181.

15- Light, R. (1993): Abused and neglected children in America: A study of alternative Policies. Harvard Educational Review, 43,556-598.

16- Martin, B. (1975): parent – child relations .(In) .F.D Horowitz (Ed.), Review of development research. Vol. 4 Chicago Press.

17- Parka , R.D.& Collmer, C.W.(1975) : Child abuse :An interdisciplinary analyesis.(In) E.M. Hetherington(Ed.) Review of child development research . Vol. 5. Chicago: Unversity of Chicago press.

18- Rheingold, H. (1969): the Social and socializing infant. (In) D.A. goslin (Ed.), Handbook of Socialization theary and research. Chicago : Rand Mc Nally.

19- Saltzatein, H.D.(1976) : Social influence and moral development A perspective on the role of parents and peers.

(In) T . Lickona (Ed.) Moral Development and Behavior: theory, research and social issues. New York : Hold, Rinehart & Winston.

20- Schaeffer , E.S (1966) : A Circumplex model for maternal behavior.J. of Abnormal and Social Psgchology ,59.

21- Schaffer, H.R. & Emerson, P.E. (1964) : The development of social attachments in infancy. Monographs of the Society for Research in child Development, 29 (Whold No 94).

22- Sears , R.R./ Rau, L& Alpert, R. R. (1965): Identification and child rearing . Stanford , cal: Stanford Unvirsity press.

23- Sears, R.R., Maccoby , E.E. & Levin , H(1957): Pattern of Child rearing . New York: Harper& Roe.

* * *